

خطوط الكتابات العربية في الجزائر

د/ عبد الحق معزوز

أستاذ بمعهد الآثار - جامعة الجزائر 2

تمهيد:

تعريف الخط:

تعريفه لغويا: جاء في معاجم اللغة العربية، "الخط هو الكتابة والتحرير والرقم والسطر"، وتعني نقل الفكرة من عالم العقل وترجمتها إلى عالم مادي على ورق، أو لوح، أو على أي شيء آخر بواسطة قلم جبر خوفا من نسيانها، وذلك برسم أشكال من الحروف متعارف عليها.

وقد ورد تعريف الخط في جمع الجوامع، أن الخط "هو تصوير اللفظ برسم حروف هجائه".

وعرفه إقليدس⁽¹⁾ بقوله، "الخط هندسة روحانية ظهرت بألة جسمانية".

وأما القلقشندي⁽²⁾ صاحب كتاب صبح الأعشى ذكر أن الخط "هو ما تتعرف منه صور الحروف المفردة، وأوضاعها، وكيفية تركيبها خطأ".

وعرفه ابن خلدون⁽³⁾ بقوله: "هو رسوم وأشكال حرفية تدل على الكلمات المسموعة الدالة على ما في النفس، وهو ثاني رتبة عن الدلالة اللغوية، وهو صناعة شريفة". وقد أدى اختراع اللغة إلى استعمالها كمرحلة فاصلة بين فترتي ما قبل التاريخ والتاريخ.

❖ **طبيعة الخط:** رغم التعاريف العديدة التي عرف بها الخط، فإنها لا تمنح للقارئ تعريفا دقيقا ومحددا لمعنى الخط. أكان الخط علما كغيره من العلوم الأخرى له قواعد وضوابط علمية يستند إليها لنقول أنه علم؟ أم هو مجرد فن من الفنون الدنيوية الكثيرة كالرسم والنحت وغيرهما؟

❖ **الخط علم:** نقول الخط علم لأنه تمت هندسته منذ القدم، ويعتمد على أصول ثابتة وقواعد دقيقة مستندة على موازين وضعها الأقدمون. وفي ذلك، ألقت كتب ومؤلفات عديدة للتعريف بقواعده للمتعلمين، ولا يجيد هذا العلم أحد إلا إذا درس قواعده وموازينه⁽⁴⁾. لذلك أدخل هذا العلم كمادة تعليمية في المدارس.

❖ **الخط فن:** نقول الخط فن لأن قاعدته ومحوره هو الجمال في التعبير الذي يتوخى الوصول إليه الخطاطون لبعث المتعة في نفوس المشاهدين، كما يعتمد الخط على استعدادات ومهارات فنية تكتسب بالممارسة والمران، بالاعتماد على دقة الملاحظة وقوة الانتباه والقدرة على المحاكاة، فتتشكل للمتعلم خبرات ومهارات تجعل منه فنانا بارعا يجيد كتابة ضروب عديدة من الخطوط.

تعريف الكتابة:

الكتابة نظام تمثيلي لأي لغة ما، بواسطة رموز سواء كانت مكتوبة أو مرسومة على سند، وهي وسيلة تسمح بمبادلة المعلومات من دون استعمال أداة النطق، وهي مقربة للمسافات وأداة وصل وتواصل بين الأشخاص.

الملاحح الحضارية للكتابة العربية:

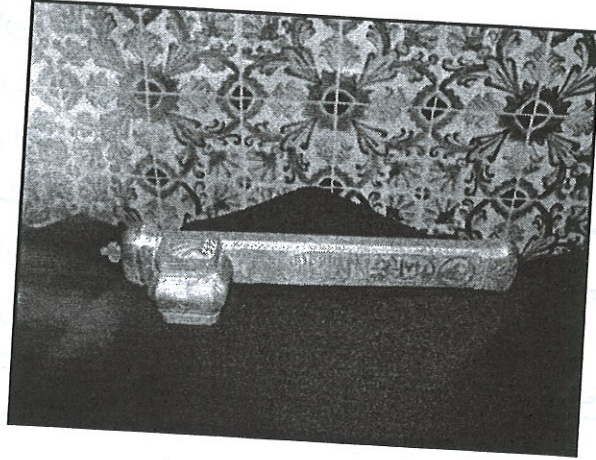
تعد الكتابات العربية أحد الروافد الأساسية للفن الإسلامي. وهي مظهر من المظاهر الفنية والحضارية التي عرفتها الأمة العربية والإسلامية، وذلك لما تحمله من ملاحح فنية تتمثل في أسلوب الخط وأنماطه المتعددة، وفي أبعاده الزخرفية والتقنية، وفي ملاححه التاريخية والحضارية تبرز تجلياتها بصفة خاصة في مضامينها ومحتوياتها الثرية بشتى ضروب المعلومات أهمها التواريخ الثابتة وأسماء الأعلام لحكام وصناع وحرفيين، وأماكن جغرافية، ومدن، وأحداث، ووظائف، وحرف... الخ. وكذلك في أبعادها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية. وهو فن عربي أصيل⁽⁵⁾.

الأدوات التي كان يكتب بها:

1- القلم: كتب العرب بالقلم وقد سمي القلم قلما لأنه مأخوذ من شجر القلام ورقه كورق الحُرْف (الرشاد). وقد قيل أن أهم آلات الكتابة جودة القلم وصحة بريه. والقلم يبرى برياً تتفاوت أنواعها بين الدقة والغلظة. وقد استعمل الخطاطون كل نوع من الخط قلما حتى أنهم أطلقوا على بعض الخطوط أسماء أقلام (الثلاث). وقد استعمل العرب أقلامهم في البداية من لب الجريد ثم من أقلام القصب. ومن خصائصه وأن لا يكون القلم شديد الصلابة واليبس، ويكون طوله حسب "ابن خلة" بين 12 و16 عرض الأصابع. وأما بريه فأركانه أربعة كما صح: فتح، ونحت، شق، وقط.

2- المداد الحبر:

لا يمكن للقلم أن يجري إلا بالمداد، وقد سمي المداد مدادا لأنه يمد القلم ويعينه الاستمداد. كما سمي الزيت مدادا لأن السراج يمد به، وكل شيء يمد به كالليقة ومما كتب به فهو مداد. وفي قوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لَكَلِمَتِي رَبِّي...﴾ (سورة الحنف، الآية 109). وقيل المداد من المداد لا من الإمداد. وأما الحبر فأصله اللون، وأثر الحبر في القرطاس. وقد يسمى حبرا من الفعل يحبر الشيء بمعنى يترك عليه أثرا.



قواعد الخط:

قال المهندس ابن مقلة (ت328هـ): "ينبغي لمن يريد أن يكون خطه جيدا وكتابه صحيحة ما كان مقادير حروفها بعضها من بعض على قواعد النسبة الفاضلة". التي أقرها إخوان الصفا. أن يكون مقدار طول الألف ثمانين نقاط برأس القلم وعليه تقاس باقي الحروف الأخرى فتكون الباء وأخواتها كل واحد منها طوله مساو لطول الألف وتكون رؤوسها إلى فوق الثمن وهكذا تقاس بقية الحروف الأخرى.

❖ النقطة:

تستعمل النقطة في الخط العربي كجزء من الحرف، وكوحدة لقياس الحروف وتُعرف على أنها مُسطحٌ مربع، يتكون نتيجة جرة قصيرة للقصبية أو للقلم على الورق أو اللوح أو أي شيء آخر يكتب فيه. وتكون النقطة مربعة بقدر قلمها، بحيث تأخذ حجم تربيع القلم.

ويعتبر الوزير بن مقلة⁽⁶⁾ هو أول من ضبط حروف خط النسخ ووضع لها قواعد ومعايير هندسية، من ذلك جعل حرف الألف مقياسا أساسيا لباقي الحروف وصارت سائر الحروف الأخرى تقاس على الألف التي جعل النسبة الفاضلة بين طولها وعرضها خاضعة لعرض القلم الذي يكتب به، وبهذه الكيفية وضع ابن مقلة نظاما لضبط أصول الخط.

انتشار الخط في بلاد المغرب العربي:

لا شك وأن للعرب الفاتحين الفضل الأكبر في إدخال الخط العربي لبلاد المغرب العربي والأندلس، لقد انتقلت هذه الصناعة مع الفلول الأولى للفاتحين الذين استقروا بداية في القيروان قبل انتشارهم في سائر بلاد المغرب والأندلس. وكان لهذا الفتح الديني العظيم أن صاحبه فتح آخر ثقافي تمثل في نشر الخط العربي في كامل هذه الربوع، ثم أخذ يتطور شيئاً فشيئاً مع مر السنين بتطور الحضارة العربية، متخذاً له ضروباً وأصنافاً بعضها مشرقية كالخط اليابس والخط اللين، والبعض الآخر مغربية كالخط المغربي. ويقول هوداس⁽⁷⁾ "لما حمل الفاتحون المسلمون دينهم وشرائعهم إلى سكان المغرب، فرضوا في الحين نفسه وجوب استعمال اللغة العربية، وذلك على الأقل كلغة دينية، وأن البربر الذين لم يكن لهم قط في ذلك كتابة خاصة قد قبلوا الخط العربي من دون صعوبة".

الخط الكوفي:

احتل هذا الخط مكانة مرموقة ومميزة بين مختلف الخطوط العربية، سمحت له بالتريع باعتلاء عرش الكتابات التذكارية والدينية في الجزائر وكامل بلاد المسلمين، في ذلك المخطوطات العلمية والشرعية التي كانت في معظمها تدون بخط الكوفي المصاحفي، واستمر ذلك التربع طيلة أربعة قرون ونصف قرن، لم ينازعه في ذلك أي خط إلى غاية منتصف القرن الخامس الهجري الحادي عشر ميلادي، قبل أن يزيحه خط النسخ الأتابكي⁽⁸⁾ في المشرق الإسلامي، وخط النسخ الموحيدي في بلاد المغرب العربي في النصف الثاني من القرن السادس الهجري.

أما صورته الفنية فهي غنية عن التعريف، إذ اعتبر هذا الخط كأحد الرواقد الأساسية للفن الإسلامي، وهو فن عربي إسلامي أصيل المنشأ والتطور، مر بمراحل عديدة، جودت خلالها حروفه وتطورت أشكاله، وحسنت بنيته المورفولوجية، خاصة على مستوى متونها، حيث عرفت هاماتها ونهاياتها تمطيطات وانكسارات وعتقت

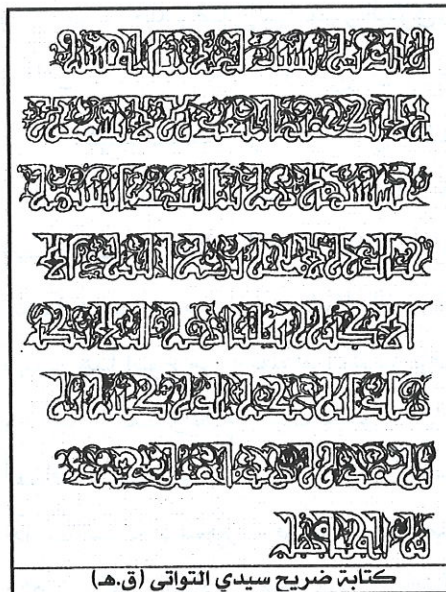
كما ألحقت بحروفه أيضا مجموعة كبيرة من الإضافات واللواحق المحسنة والمجملة.

شكل ٣٢٤ - رسم هندسة الحروف المردة للخط العربي بحسب القاعدة العلمية الماهرة التي ذكرت عن ابن مقلة وهي مكونة من خط مستقيم هو قطر الدائرة . من رسم المؤلف .

المجلة المغاربية للمخطوطات عدد 2013/3

❖ الكوفي في الأرضية النباتية: هو الذي تفرش أرضيته ببساط من الخمائل النباتية قوامها فروع وغصينات ومراوح وزهور وورود وبراعم، توضع كخلفية يستقر فوقها الحرف الكوفي في تناسق وتناغم جميلين. يرجع منشؤه الأول إلى مدينة غزة حاضرة مملكة السمانيين في خراسان جنوب أفغانستان في القرن الخامس الهجري، وفي المغرب الأوسط تعتبر كتابتا محراب الجامع الكبير بتلمسان (530هـ / 1136م) وشاهد قبر وجد في بجاية باسم الشيخ أبو عمر عثمان بن عبد الله الزغلي وابنه أبو عبد الله محمد (541هـ / 1147م) من أقدم الأمثلة على هذا النوع من كتابات الكوفية الجميلة في الجزائر.

كوفي ذي أرضية نباتية

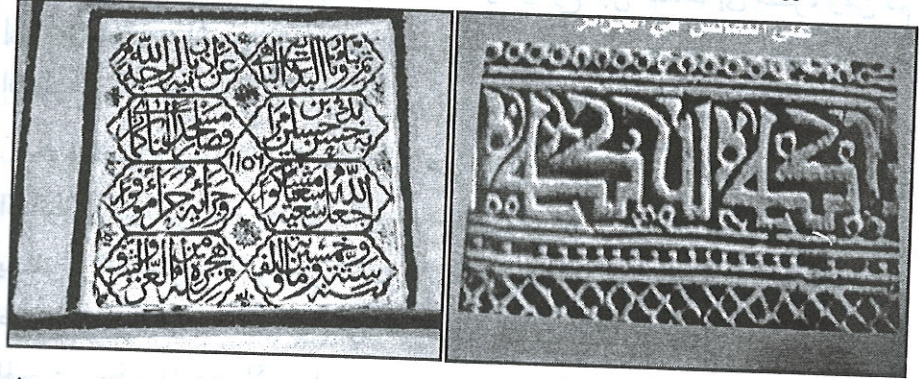


اسم الله الرحمن الرحيم. اللهم طي
 ب علي محمد ^{وعلي} وآله ^{استصار} وسلم عليه ورحب
 لله هذا قبر عبد الرحمن بن حنوفه برك
 المدون الحظير من اهل حمص طه الله
 عليه ورحمه وعل عليه من صل عليه
 ونو في سبع عشر مائه من حمص
 الاول سنة تسع عشر ومانه

کتابتہ شاہد قبر عبد الرحمان بن حیوة 126 هـ

صورة 1: كوفي مورق

صورة 2: خط الثلث



❖ **الكوفي المضفر:** يتميز هذا النوع بشكله المجدول بفضل تقاطع وتضافر حروفه بعضها ببعض، ولا سيما الحروف القائمة كالألف واللام وعراقات الحروف النازلة كالراء والزاي والنون والواو.. إلخ. ومن الأمثلة القديمة ببلادنا نذكر كتابة محراب الجامع الكبير بتلمسان. ويعزى منشأ هذا الأسلوب إلى المشرق الإسلامي.

❖ **الكوفي الهندسي:** ويتميز هذا النوع من الخطوط باستقامة حروفه وتربيع زواياه، وهو آخر مرحلة وصل إليها تطور الكوفي، ولا يعرف لحد الآن موطنه الأصلي. ولدينا في المغرب الأوسط مثال لهذا النوع من الخطوط في الجامع الكبير بتلمسان.

❖ **الكوفي المشجر:** أو الكوفي ذي التشجير، وهو ضرب من ضروب الخط الكوفي المتطور الذي لم يصنف على أنه خط مميز عن غيره، وإنما صنف ضمن الكوفي المزهر، ونظرا لخصوصياته التي تميزه من الكوفي المورق أو المزهر، فقد ارتأيت أن أجعل له تصنيفا خاصا به ينسجم مع شكله وشكل الزخرفة التي تحليه، ولذلك أسميته الكوفي المشجر. ويتميز هذا النوع من الخطوط الكوفية بإضافة أشجار أو ما يشبهها إلى نهايات طوابعه وخاصة الألف واللام، حيث يلحق بنهايات هذين الحرفين ما يشبه أنصاف المراوح أو أنصاف الأشجار، وعند إسنادهما إلى بعضهما البعض، تتشكل صورة الشجرة، ومن ثم جاءت تسمية التشجير. وقد بدأت إرهاصات هذا النوع من الكوفي تظهر في الجزائر في منتصف القرن السادس الهجري في كتابة شاهد قبر الشيخ الزغلي وابنه.

الكوفي المعماري: (ذي الزخرفة المعمارية)

ظهر هذا النوع من الخطوط في المغرب الأوسط مع بداية القرن الثامن الهجري في كتابات تلمسان، ومن أشهرها كتابة جامع سيدي أبي الحسن، وجامع سيدي أبي مدين شعيب، ويتميز هذا النوع من الخطوط بحروفه الكبيرة التي تنطلق هاماتها في فضاءات حقل الكتابي من دون قيد، ولا تخضع لأي قواعد فنية ولا ضوابط كتابية، وإنما يخضع حري الفنان وخياله وتصورات، لذلك يكثر فيها المط والمد، والانكسارات والانحناءات والأقواس واللفائف وأشكال أخرى بعضها هندسية والبعض الآخر شبه القلوب، فضلا على التشجير والتزهير والتوريق.

خط النسخ:

يعتبر خط النسخ من الخطوط اللينة التي تتميز حروفها بالطواعية والروطبة والاستدارة، وتقل فيه الزوايا الحادة التي تميز عادة الكوفي. وهو من الخطوط العربية الأصلية، ينسبه بعض الرواة والمؤرخين إلى الحجاز ولذلك عرف بالحجازي⁽¹⁴⁾. وقد سمي بالنسخ لاستعماله من طرف الكتاب في كتابة المصاحف ونسخ المراسلات والخطوط⁽¹⁵⁾.

أخذ خط النسخ يرتقي سلم الكمال خلال القرن الثالث والرابع الهجريين على يد ابن مقلة (262-328هـ) وأخيه عبد الله على رأس المائة الرابعة، ومن بعدهما ابن أبي عمير (413هـ-1150م).

حري خط النسخ على نسبة ثابتة وامتاز بجمال الرونق . وسهول قراءة حروفه مع اللبس فيها بسبب صغرها وتلاحق مداتها، وفي القرن السابع الهجري ازدهر خط النسخ بفضل عطاء ياقوت المستعصمي الذي كان يلقب بقبلة الكتاب (1298م)، وهو أحد مماليك المستعصم بالله آخر خلفاء بني العباس في بغداد.

الكوفي المعماري: (ذي الزخرفة المعمارية)

ظهر هذا النوع من الخطوط في المغرب الأوسط مع بداية القرن الثامن الهجري في كتابات تلمسان، ومن أشهرها كتابة جامع سيدي أبي الحسن، وجامع سيدي أبي مدين شعيب، ويتميز هذا النوع من الخطوط بحروفه الكبيرة التي تنطلق هاماتها في فضاءات حقل الكتابي من دون قيد، ولا تخضع لأي قواعد فنية ولا ضوابط كتابية، وإنما يخضع سوى الفنان وخياله وتصورات، لذلك يكثر فيها المط والمد، والانكسارات والانحناءات والأقواس واللفائف وأشكال أخرى بعضها هندسية والبعض الآخر شبه القلوب، فضلا على التشجير والتزهير والتوريق.

خط النسخ:

يخبر خط النسخ من الخطوط اللينة التي تتميز حروفها بالطواعية والرطوبة الاستتارة، وتقل فيه الزوايا الحادة التي تميز عادة الكوفي. وهو من الخطوط العربية الحديثة، ينسبه بعض الرواة والمؤرخين إلى الحجاز ولذلك عرف بالحجازي⁽¹⁴⁾. وقد سمي بالنسخ لاستعماله من طرف الكتاب في كتابة المصاحف ونسخ المراسلات بخطوط⁽¹⁵⁾.

خط النسخ يرتقي سلم الكمال خلال القرن الثالث والرابع الهجريين على يد ابن مقلة (262-328هـ) وأخيه عبد الله على رأس المائة الرابعة، ومن بعدهما ابن سينا (350-428هـ) (1150م).

يتميز خط النسخ على نسبة ثابتة وامتاز بجمال الرونق. وسهول قراءة حروفه المتساوية فيها بسبب صغرها وتلاحق مداتها، وفي القرن السابع الهجري ازدهر الخط النسخي بفضل عطاء ياقوت المستعصمي الذي كان يلقب بقبلة الكتاب (1290م)، وهو أحد مماليك المستعصم بالله آخر خلفاء بني العباس في بغداد.

استعمل خط النسخ أول ما استعمل في المغرب الإسلامي عام 530هـ في قاعدة قبة محراب الجامع الكبير بتلمسان في العهد المرابطي في نقش تأسيسي ينسب لعلي بن يوسف. قبل أن ينتشر استعماله بصورة أوسع في العصر الموحي الذي اتخذوه خطاً رسمياً لدولتهم في بلاد المغرب والأندلس، مستعاضين به عن الخطوط اليابسة السائدة قبل ذلك. وهكذا أصبح خط النسخ الخط السائد في المغرب في النقوش والمخطوطات على السواء. ويعود أول نقش كتب بخط النسخ في الجزائر إلى العصر الموحي في بلاد المغرب إلى عام 566هـ، عثر عليه في مدينة أشير وهو نقش شاهدي، كما استعملوه على النقود والمخطوطات والمصاحف والمراسلات والشواهد والكتابات التذكارية والدينية، وفي سائر مناحي الحياة اليومية.

وقد وصف ابن خلدون في مقدمته نوع الخط المستعمل في وقته في بلاد المغرب بقوله: "الخط الإفريقي المعروف رسمه القديم لهذا العهد يقرب من أوضاع الخط المشرقي"⁽¹⁶⁾. وأضنه يقصد به خط النسخ الذي كان منتشرًا في المغرب والذي هو أقرب إلى النسخ المشرقي الذي ظهر في عهد الأتابكة نهاية القرن الرابع الهجري والذي انتشر في بلاد المشرق قبل ظهوره في المغرب بداية القرن الخامس الهجري في تلمسان. وأما استعماله فيبدو أنها تركزت على النقوش أكثر من استعمالها على المخطوطات، بحيث نجد الكثير من النقوش التي تعود إلى فترات تاريخية متعددة ابتداء من العصر المرابطي والموحي والحفصي والزياني، نقشت كتاباتها بخط النسخ المغربي الذي يتميز بفيزيولوجية حروفه وتمديداتها عن النسخ المشرقي. ولما المخطوطات وبحسب اطلاعاتي المتواضعة فإنها قليلة جداً مقارنة بالنقوش.

خط الثلث:

إن المتمعن في النقائش والفرامانات العثمانية سيفاجأ بمدى ما وصل إليه هذا القلم من أناقة وحسن وبهاء، سببها مستوى النضج الفني الذي بلغه هذا القلم، بفضل حذاق الخطاط العثماني وتحكمه في أسرار التقنية وقواعده الفنية، ومعرفته لأبعاده الجمالية ولعل ذلك راجع لطبيعة حروفه التي تتميز بالطراوة والمرونة والسلاسة. وقد انبثق من

خط الثلث صفات كثيرة كالمحقق والمطلق، فضلا عن الجلي والتشابك والمركب والزخرفي، وغيرها من صفات التراكيب لهذا القلم الذي ارتقى بفضل خصائصه إلى صاف أرقى الأقلام العربية. فلا غروة إذن من أن يجد هذا القلم مكانته وسط الأقلام، على محل أقلام أخرى في هذا العصر ليتربع على الكتابات التذكارية والزخرفية، الشاهدية وفي المراسلات الرسمية، والاستنساخ وغير ذلك من المجالات وعلى مختلف المواد في العمائر، والمعادن والرخام والحجر والخشب والقماش والطنافس والحصن الزجاج وغيرها من المواد التي مازالت تشهد إلى يومنا هذا على عظمة هذا الخط سكنت المرموقة في العصر العثماني في الجزائر وسائر الخلافة العثمانية.

خط النسخ الموحد (749هـ)



كتابت صومعة الجامع الكبير بندرومة

الأساليب الفنية والتقنية لخط الثلث:

1- الأسلوب الفني: استعمل العثمانيون ثلاثة أساليب فنية في كتاباتهم بالجزائر:

أ. الثلث البسيط خالي من التركيب، ونجده بصفة خاصة في الكتابات الورقية (الوثائق) بالإضافة إلى بعض النقوش الشاهدية والتسجيلية على مختلف العماير وشواهد القبور بالجزائر وقسنطينة ومدن أخرى.

ب. الثلث المركب وهو أسلوب يعتمد على تركيب الكلمات بأسلوب فني جميل ونجده غالبا في النقوش الكتابية وخاصة التسجيلية وعلى بعض شواهد القبور.

ج. الثلث الجلي ونجده أيضا في بعض النقوش التسجيلية المخلدة لبعض المباني العثمانية.

2- التقنيات: تميزت الكتابات العثمانية في الجزائر باستعمال ثلاثة أنماط تقنية هي:

- النقش البارز، وهو الأكثر شيوعا على النقوش في الجزائر في العهد العثماني.
- النقش الغائر: استعمل الفنان في هذا العصر أيضا النقش الغائر في بعض النقوش.

- النقش المرصص، وهو الأسلوب الأقل شيوعا في النقوش وطريقته أن تحفر الكتابة ثم يصب الرصاص المذاب في الأخدود.

وأما المراسلات والوثائق بصفة عامة فقد استعمل فيها القلم والحبر الأسود الملون في حالات نادرة لغرض التمييز أو التزيين. وقد وجد هذا النوع في الكتب والمصاحف. بالإضافة إلى اللون الذهبي المستعمل في تذهيب المجلدات.

الخط المغربي:

يعتقد الكثير من الباحثين أن الخط المغربي بجميع أنواعه هو صورة محسنة ومطورة للخط الكوفي⁽¹⁷⁾. اشتقه المغاربة ونسبوه إلى المدن، وكان ذلك في عهد دولة الأغالبة وعرف بالخط القيرواني. ثم ظهرت أنواع أخرى نسبت إلى قرطبة وفاس والسيدي

وغيرهما من المدن التي تميزت وانفردت بأنواع من هذا القلم. ثم صارت خطوط أهل إفريقية كلها بالخط الأندلسي⁽¹⁸⁾. وإذا كان هناك لأي جهة الفضل في تحسين وتجويد هذا الخط، فالفضل كل الفضل يعود بدون شك إلى دولة بني الأغلب التي تحسن وتأنق في ظل حكمها هذا الخط تحسنا وتأنقا لم يعرفه من قبل⁽¹⁹⁾.

وللقلم المغربي قطتان؛ أولها مدبة أي ذات سن يشبه الإبرة، والكتابة بهذه القطعة تسطر خطا أحادي السمك في أفقياته ومنتصباته. وثانيها ذات سمك وسنين، منتصباتها أدق وأقل سمكا من أفقياتها، وفي حالة وجود كتابات جيدة تكون عادة حروفها المرسله بشظية يحصل عليها بخطط اليد عند رسمها أو برفعها، ثم يحدى سني القلم⁽²⁰⁾.

ذكر القرني أن الخط الذي اصطنعه أهل الأندلس في كتابتهم كان في بداية الأمر بسيطاً ويقول أن الخط الذي رأيته له حسن فائق وروثق أخذ بالعقل وترتيب يشهد بحكمة التجويد.

وضع الخط المغربي لأي قاعدة أو معيار أو هندسة خطية كسائر الكتابات اللينة، وإنما يعتمد في تعلمه وتجويده على التقليد والمحاكاة والممارسات المتكررة لكسب التعلم المهارة اللازمة وتجري يده على كتابة هذا الخط.

يرى الشأن في تعليم الخط بالأندلس والمغرب كذلك في تعلم كل حرف بانفراده، يلقبها المعلم للمتعلم، وإنما يتعلم بمحاكاة الخط من كتابة الكلمات ويقع الكثير من الدارسين إلى أنه مشتق من الخط الكوفي، وهو الرأي الذي لا يرضى لأن المتعلم في هذا الخط يدرك أن التحول بدأ يظهر أول مرة في القرنين الثاني والثالث الهجريين، حيث تبدو علامات هذا التحول جلية واضحة في الكثير من النصوص التي ترجع إلى القرن الثالث الهجري (10م).

ويؤكد هوداس⁽²²⁾ أن الاشتقاق بدأ التحول بداية في قطعة من مدونة سحنون 224هـ (946م)، ثم تبدو أكثر جلاء ووضوحا في قطعة من مخطوط آخر عشر عليه في جامع القيروان مع القطعة السابقة، حيث تبرز هذه الأخيرة بداية التحول من الكوفي إلى المغربي.

كما تشير الدراسات إلى أن المغاربة لم يعملوا إلا على تلطيف الخط الكوفي الجاف أو اليباس دون أن يضيفوا له أي إضافات، إذا ما استثنينا نقط الإعجام، وتخفيف بعض الحروف الثقيلة مع إضفاء البعد الجمالي عليها.

سمات الخط المغربي:

هناك مجموعة من الخصائص الفنية ينفرد بها الخط المغربي يمكن حصرها في الملاحظات الآتية:

- ♦ سطور الحروف القائمة كالألف واللام والطاء والظاء والكاف تكون في الغالب منحنية تعلوها نقطة غليظة ولا تكون مستقيمة إلا نادرا.
- ♦ تتميز قفلات بعض الحروف مثل (ط-ظ-ص-ض) بشكل إهليلجيا، واختفاء السنية العمودية التي تنهي حرفي الصاد والضاء أول ووسط الكلمة.
- ♦ تمتد أواخر الحروف مدا مبالغا فيه خاصة حرف س، ش، ص، ع... إلخ ويسقط من بعض الحروف النهائية نقط الإعجام كحرف ق، ف، ي وتكتب حرف التاء النهائية المفردة بدون نقطة⁽²³⁾. ومما تجدر الإشارة إلى أن هذا الخط عرف انحطاطا وتدهورا بعد سقوط الدول الثلاث المرينية والزيانية والحفصية وهو ما يؤكد ابن خلدون الذي يصف الخط المغربي بعد سقوط هذه الدويلات بما يأتي: "فصارت الخطوط بإفريقية والمغرب ماثلة إلى الرداءة بعيدة عن الجودة"⁽²⁴⁾.

يعد الخط المبسوط والمجوهر من أشهر أسماء الخطوط المغربية. والبسط هو استقامة الحروف من غير تقويس، وهو القلم الذي كتبت به المصاحف في المغرب والأندلس، وهو نوع من الخطوط اللينة، احتفظ بصفات من الحروف اليابسة ورثها من الخط الكوفي. وأما الجوهر هو قلم يستعمل في التدوين والمراسلات وتغلب عليه الليونة، يتميز بميل طوابعه إلى اليمين، قيل أنه سمي كذلك تشبيها له بالجواهر أو نسبة لعقد الجوهر، ولبساطته وسهولة قراءته⁽²⁵⁾.

أنواع الخط المغربي:

هذه بعض أنواع الخطوط المغربية كما صنفها هوداس من خلال دراسته للمخطوطات المغربية:

❖ **الخط القيرواني:** يتميز بغلظ السطر حتى أن حروفه تبدو أصغر وأقرب إلى بعضها. وهي أقرب لليس منها إلى الرطوية والليونة، علاوة على خلوه من النقاط شأنه شأن الكوفي اليابس.

❖ **الخط الأندلسي أو القرطبي:** لقد أصبحت مدينة قرطبة حاضرة للأندلس ومركز إشعاع علمي وثقافي وفني واسع، فنشطت فيها حركة فكرية سريعة وشاملة. تميزوا بأحواضهم من الحضارة والصنائع، فتميز صنف خطهم وعرف "بالخط الأندلسي" أو بالأحرى "الخط القرطبي" نسبة إلى مدينة قرطبة حاضرة الأندلس⁽²⁶⁾. ويتميز بما يشيع فيه من إستدارات حروفه وإطالة أواخرها، وتداخل كلماتها، والعناية بسبق الكلمة وتحسينها صورتها. وتتجمع حروفه على شكل مكثف مع احتفاظها بكل النقاط.

❖ **الخط الفاسي:** يتميز بالأناقة وطول الأسطر العمودية، والتباعد بين الحروف وانتظام الإمتداد والتناسق، وامتياز بعض حروفه بالاستدارة واتحاد وتناعم حجم الأسطر مما يزيد جمالها وبهاء وتناسقا لا نظير له.

❖ **الخط الجزائري:** يذكر هوداس أنه ذو زوايا وحروف حادة، يصعب في الغالب قراءته. وينسب الخط المغربي الجزائري، حسبه، إلى ثلاثة مدارس أساسية تجلت تأثيراتها بكل وضوح في الخط المغربي الجزائري وبدرجة أكثر على المخطوطات الجزائرية. وهي المدرسة القيروانية التي انتشرت في الشرق الجزائري، والمدرسة الأندلسية التي تأثرت بها منطقة الوسط كالجزائر العاصمة، والمدرسة الفاسية التي أثرت في المنطقة الغربية للجزائر المحاذية للمغرب.

ولعمري إن هذا التصنيف يشتم منه رائحة الحيف والظلم لمنطقة عرفت أول نقش عربي في المغرب والأندلس، ومنحت الكثير من الطرز والأساليب الفنية والصناعية للفن الإسلامي، بعضها جزائري المنشأ والمنبت مثل الشواهد الموشورية والمقرنصات والأقواس (Redans) وغير ذلك من الابتكارات والتجويدات التي ساهم بها فنانون المغرب الأوسط في إثراء الفنون والصناعات بصفة عامة.



نموذج مما يعرف بالخط القرطبي

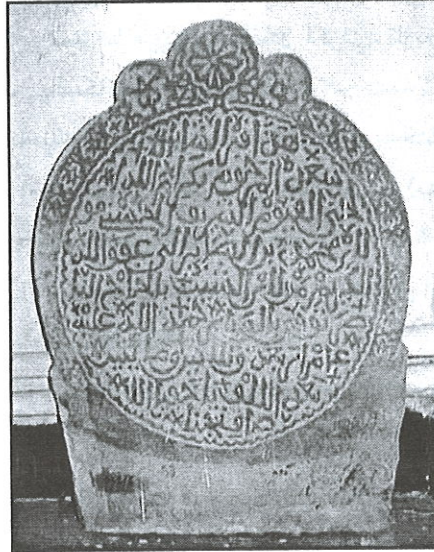
❖ الخط السوداني:

سمي كذلك نسبة إلى السودان الغربي، وهو نوع من الخط المغربي الذي كان قد انتشر منذ القرن السابع الهجري في أقطار إفريقيا السوداء مثل السنغال ومالي والنيجر وموريتانيا وشمال نيجريا ومناطق أخرى بالساحل الإفريق. كما ينسب إلى مدينة تمبوكتو، عندما صارت عاصمة للسودان الغربي في عهد مملكة سانغاي (610هـ). حيث أصبحت قطبا حضاريا لسائر الدويلات الإفريقية، فنسب إليها نوع من الخط المغربي سمي بالخط التنبكتي⁽²⁷⁾. وتتميز حروفه بأنها غليظة وذات زوايا حادة كبيرة.

ورغم أن هذا الخط - الذي يعتقد أنه ولد في القيروان - اتشر في سائر أقطار شمال إفريقيا والأندلس وأخيرا في السودان. فإن استعماله في الكتابات الأثرية المنقوشة على المواد الصلبة. لم يظهر إلا في بداية القرن السابع الهجري الرابع عشر ميلادي في كتابات مدينة تلمسان الزيانية، ثم على الشواهد التي ترجع إلى الفترة العثمانية، وبصورة خاصة في الكتابات الشاهدية. وفي العصر العثماني أخذ هذا الخط في الانتشار بمدينة الجزائر، ليتسع مجال استعماله إلى الكتابات الدينية والتذكارية. على أن هذا الخط لم يرق به فنانون ذلك العهد إلى المستوى الذي كان عليه من قبل وخاصة في العصر الزياني، حيث ترقى الإجابة فيه واستحكم، حتى بلغ أعلى رتبة من الإتقان، بعد أن أصبح الخط المتداول من دون منازع في السجلات والدواوين وشواهد القبور والكتابات التسجيلية، إلا الكتابات الدينية التي أسندت للخط النسخ والكوفي. وقد اتسم الخط المغربي في كتابات شواهد القبور في العهد العثماني في الكثير من كتابات مدينة الجزائر بصفة خاصة بالركاكة والرداءة وحالة من المزج والخلط بين مختلف الخطوط، ولا سيما بين نماذج من حروف الخط المغربي والكوفي وأخرى لينة من خط النسخ وبدرجة أقل خط الثلث.

خاتمة

هذه أهم الخطوط العربية التي استعملها الكتاب والفنانون الجزائريون في المغرب الأوسط خلال القرون الماضية. والذين أبدعوا في كتابتها نقشا وكتابة وزخرفة على مختلف المواد الصلبة الحجرية (رخام، حجر)، والمعدنية (نحاس، فضة)، ومواد عضوية، (خشب، ورق، الخ). ولا أدل على ذلك من التحف والمخطوطات الكثيرة التي ما زالت العديد من متاحفنا وخزائن مكتباتنا تحتفظ بها إلى يومنا هذا. وهي ذات قيمة كبيرة من الناحية الفنية والأدبية والتقنية، تعكس مبلغ ما وصلت إليه هذه الخطوط من تنوع وتعدد في مختلف العصور.



خط مغربي أندلسي



خط مغربي شاهدي - تلمسان (عصر عثمانجياني)

المراجع:

- 1- ابن خلدون (عبد الرحمن)، المقدمة، دار الكتاب اللبناني، مج 2/1، 1981.
- 2- إبراهيم جمعة، قصة الكتابة العربية، سلسلة إقرأ، دار المعارف للطباعة والنشر، مصر 1947.
- 3- إبراهيم جمعة، دراسة في تطور الكتابات الكوفية على الأحجار في مصر في القرون الخمسة الأولى للهجرة، دار الفكر العربي، 1969.
- 4- القلقشندي (أبو العباس)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، المؤسسة المصرية، 1963، ج 3.
- 5- عبد الحميد جيدة (د) صناعة الكتابة عند العرب، بيروت: دار العلم العربية، ط 1، 1998م.
- 6- شريف محمد، خطوط المصاحف عند المشاركة والمغاربة من القرن الرابع إلى العاشر الهجري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1982.
- 7- ضياء الدين رجب شهاب الدين، الدر المصون بتهذيب مقدمة ابن خلدون، الشارقة، دار الفتح، ط 1، 1974.
- 8- ضمرة إبراهيم، الخط العربي جذوره وتطوره، الطبعة الثالثة، مكتبة المنار الأردن 1408هـ/ 1988م.
- 9- محمد الطاهر بن عبد القادر الكردى، تاريخ الخط العربي وآدابه، ط 1، المطبعة التجارية الحديثة بالسكاكيني، 1358هـ/ 1939م.
- 10- ناجي زين الدين، مصور الخط العربي، مكتبة النهضة، دار القلم، بيروت 1400هـ- 1980م.
- 11- هوداس (أ)، محاولة في الخط العربي، (ت) عبد المجيد التركي، حوليات الجامعة التونسية، العدد 3، ص 177 وما بعدها.
- 12- يحيى وهيب الجبوري، الخط والكتابة في الحضارة العربية، ط 1، (د.ت) دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان،

3- A. Grohman, the origin and early development of floriated kufic, arts orientalis, Vol. II, 1957, p.182.

14- G. Marçais, L'architecture Musulmane d'Occident, Paris 1964, p111.

الهوامش:

- 1- إبراهيم جمعة، قصة الكتابة العربية، سلسلة إقرأ، دار المعارف للطباعة والنشر، مصر 1947، ط.2، ص 26.
- 2- القلقشندي (أبو العباس)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، المؤسسة المصرية، 1963، ج 3، ص 4.
- 3- ابن خادون (عبد الرحمن)، المقدمة، دار الكتاب اللبناني، مج 2/1، 1981، ص 744.
- 4- عن صناعة الخط وتعلمه ينظر ابن خلدون، الرجوع السابق، ص 744 وما يتبع.
- 5- عبد الحميد جيدة (د) صناعة الكتابة عند العرب، بيروت: دار العلم العربية، ط 1، 1998م، ص 208.
- 6- هو محمد بن حسن بن علي بن مقلة ولد سنة 262هـ وقد ضرب بجودة خطه المثل، كان شاعرا مجيدا، ومنشئا بليغا، ومتأمرا خطيرا، استغوزر لثلاثة خلفاء هم المقتدر والقاهر والراضي. سجن ابن مقلة في خلافة الراضي عام 326 وقطعت يده اليمنى ثم قطع لسانه، وأصابته أهوال شداد، قيل أنه عطش فلم يجد ماء فيال وشرب فمات، توفي سنة 328هـ. ترك ابن مقلة مدرسة في الخط بعده، له في الخط رسالة مخطوطة، ولكنه لم يترك أي شيء من آثاره الخطية. أخذ عنه محمد بن السُّنْشَانِي ومحمد بن أسد.
- 7- هوداس (أ)، محاولة في الخط العربي، (ت) عبد المجيد التركي، حوليات الجامعة التونسية، العدد 3، ص 177.
- 8- نسبة للأتابكة واتبك لقب تركي أطلقه السلجوقيون على كبار رجال البلاط ومعناه "الأب الوصي" وكان ملكشاه أول من أطلق هذا اللقب على وزيره نظام الملك. قام الأتابكة أولا بدور الميرين للأمراء القاصرين ثم تعددت التابكة بعد ما أطلق على القادة العسكريين وتوسعت صلاحياتهم تدريجيا حتى تمكن بعضهم من إقصاء الأمراء السلاجقة وجعل امتيازاتهم وراية، كأتابكة أذربيجان في القرن السادس الهجري الثاني عشر ميلادي، والموصل ودمشق بعد وفات زنكي عام 1144م.
- 9- للمزيد ينظر إبراهيم جمعة، دراسة في تطور الكتابات الكوفية على الأحجار في مصر في القرون الخمسة الأولى للهجرة، دار الفكر العربي، 1969، ص 27-28.
- 10- يتعلق الأمر بكتابة شاهد قبر عبد الرحمن بن حيوة بن ذي العرف الحضرمي (ت 126هـ/ 746م) بمدينة تهودة شرق بسكرة وهو الآن محفوظ بمسجد سيدي عقبة، وهو منقوش بخط كوفي أولي سيط، مازالت عليه تأثيرات الخط النبطي القديم.

11- A. Grohman, the origin and early development of floriated kufic, arts orientalis, Vol. II, 1957, p.182.

12- G. Marçais, L'architecture Musulmane d'Occident, Paris 1964, p111.

13- A Grohman. Op. Cit, p209.

- 14- ضمرة ابراهيم، الخط العربي جذوره وتطوره، الطبعة الثالثة، مكتبة المنار الأردن، 1408هـ/ 1988م، ص 96.
- 15- محمد الطاهر بن عبد القادر الكردى، تاريخ الخط العربي وآدابه، ط 1، المطبعة التجارية الحديثة، بالسكاكيني 1358هـ- 1939م، ص 95.
- 16- ابن خلدون (عبدالرحمن)، المقدمة، المجلد الأول، ج 2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1981، ص 750.
- 17- الكردى، المرجع السابق، ص 117؛ شريفي محمد، خطوط المصاحف عند المشارقة والمغاربة من القرن الرابع إلى العاشر الهجري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1982، ص 245؛ إبراهيم جمعة، قصة الكتابة العربية، سلسلة إقرأ، دار المعارف للطباعة والنشر، مصر، 1947، ص 41-42.
- 18- ابن خلدون (عبدالرحمن)، المقدمة، دار الكتاب اللبناني، مج 2/1، 1981، ص 751.
- 19- ناجي زين الدين، مصور الخط العربي، مكتبة النهضة، دار القلم، بيروت 1400هـ - 1980م، ص 33.
- 20- شريفي محمد، خطوط المصاحف عند المشارقة والمغاربة من القرن الرابع إلى العاشر الهجري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1982، ص 245؛ إبراهيم جمعة، قصة الكتابة العربية، سلسلة إقرأ، دار المعارف للطباعة والنشر، مصر، 1947، ص 41-42. ص 347.
- 21- ابن خلدون (عبدالرحمن)، نفسه.
- 22- هوداس (أ)، المرجع السابق، 189.
- 23- هوداس (أ)، نفسه، ص 202-209.
- 24- ابن خلدون، المرجع السابق، ص 751-752.
- 25- شريفي (م.س)، المرجع السابق، ص 47.
- 26- ضياء الدين رجب شهاب الدين، الدر المصون بتهذيب مقدمة ابن خلدون، الشارقة، دار الفتح، ط 1، 1974، ص 34-35.
- 27- ينظر: هوداس، المرجع السابق، ص 203-212؛ ويحيى وهيب الجبوري (د)، الخط والكتابة في الحضارة العربية، ط 1، (د.ت) دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان، ص 143.